شرح كتاب الخلاصة فى تدبر القرآن

لفضيلة الشيخ أبوبكر القاضى

السلام عليكم ورحمة الله بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

ثم أما بعد:-

إن أصدق الحديث كتاب الله و أحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشرها محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالهٍ في النار.

ثم اما بعد:-

هذا الشهر الكريم وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن يتوجب فيه على العبد أن تتغير معاملته وأن تتغير نظرته ورؤيته ومن ثم سلوكه مع كتاب الله عز وجل.

وهذا هو أمر الله تبارك وتعالى:

(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

(فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ)

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)

لذلك هذه المسألة مسألةٌ في منتهى الأهمية وهي مسألة التدبر،

وهذه المسألة في الحقيقة لا يكفي فيها أن نشرحها مرة أو نفسرها مرة فقد سبق لنا مراتٌ كثيرة في شرح هذا المعنى وفي دورات وفي شرح

كتب ككتب دكتور خالد اللاحم عشر مفاتيح لتدبر كتاب الله، والتاءات العشرون لتدبر القرآن لناصر القطامى، وكثير من تدبرات شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله تعالى.

ونظرنا وأصلنا هذا الأمر ولكن مع ذلك نريد أن نزيده بياناً. ونقتنص فرصة أننا في شهر رمضان وأن القلوب مفتحةٌ معلقةٌ بالقرآن شغوفةً به.

ونتناول في هذه الدورة السريعة الخلاصة في تدبر القرآن الكريم للدكتور خالد السبت وهو كتابٌ نافع على صغر حجمه ولكنه مركزٌ محررٌ، فيه فوائدٌ مهمة، وفيه خلاصات جيدةٌ جداً في هذا الأمر.

إفتتحه الكاتب بكلمة بكلمةٍ لابن تيمية رحمه الله وهو قوله ومن أصغى إلي كلام الله وكلام رسوله بعقله وتدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيءٍ من الكلام لا منظومه ولا منثوره.

وهذا أصلٌ أصله شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله أن التدبر للوحيين قرآناً وسنة.

وهذا الذي بدأناه فعلاً في مشروع القرآن تدبر وعمل بقراءة مصحف القرآن تدبر وعمل، وبعض التأصيلات من خلال دورات التدبر ودورات التفسير وغير ذلك كدورة تفسير الأمثال في القرآن ، وكدورة تفسير قواعد السعدي في التفسير، وكدورات علوم القرآن والتفسير وأصول التفسير كالمحرر والتحرير في علوم القرآن د /مساعد الطيار. وكدوره التفسير المواهب الربانية في الآيات القرآنية للشيخ السعدي، وبدأناه أيضاً في مشروع السنة تدبر وعمل بشرح الأربعين النووية ثم درسنا بعده في شرح معالم السنة النبوية لصالح الشامي. وقد وصلنا إلى ثلاثمائة حديث الآن.

ونستكمله بإذن الله ونستأنفه بعد رمضان. المشروع الذي أقصده هو تدبر القرآن والسنة.

هو الأخذ بعين الإعتبار أن القرآن وحي لا شك في هذا والاهتمام بهذا، والكتابات في هذا كثيرة جداً والأهتمام بالسنة أيضاً.

ككحجية ومصدرية للتشريع وكتدبر وكتفهم وكإعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم (وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)

وهذا الأمر عباد الله هو الحصن الحصين اللي هي المنهج، الحصن الحصين للسلامة من الإنحرافات العقدية والعملية والأصولية.

الحصن الحصين بمنهج أهل السنة والجماعة. وتقديم النقل على العقل، وتقديم النقل على الذوق، وتقديم النقل على السياسات وتقديم النقل على البدع. والإهتمام بالسنة في الحقيقة هو شرحٌ وتفسيرٌ وتأكيدٌ وتبيينٌ للقرآن ونصرةٌ للقرآن في حقيقة الأمر وقد أفردنا بذلك أكثر من دورة في بيان حجية السنة كدورة أصول الإستدلال عند أهل السنة وأهل البدع وكدورة التمامِ منة في الرد على أعداء السنة وكلاهما مسجلات.

قال المؤلف : الحمد لله الذي جعل كتابه موعظةً وشفاءً لما في الصدور والصلاة والسلام على من نزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين. أما بعد :-

فإن الله حمد نفسه على إنزال هذا القرآن العظيم.

فقال:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً * قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)

وقال تعالى:(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)

وجعله ميسر للأفهام (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) ، (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)

وضمنه ألوان الهدايات (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) ، (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)

وجعله في غاية التأثير(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)

وقال: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﷺ)

وقال: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ)

ودعا عباده إلى تدبره(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

وأنكر على من لم يرفع بذلك رأسه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)

وقال:(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ) في أربع آيات من القرآن الكريم آية سورة صاد وآية سورة المؤمنين وآية سورة النساء وآية سورة محمد

الآيات التي في السور المكية (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ)

و (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)

والآيات التي في السور المدنية النساء ومحمد

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

وقد ذكر أبن عاشور رحمه الله في الفرق بين يدبر ويتدبر أنه الزيادة في المبنى زيادة في المعنى وأنه لما كان في المدينة ظهر النفاق ونجم

وإزداد مرض القلوب كان الإحتياج إلى مزيد التأمل ومزيد التدبر ليعالج القرآن هذه الأمراض، بخلاف الجهل البسيط الذي كان عند أهل الكفر في مكة. فكان يعالج بمجرد إمرار الآيات على القلوب لأنها جهلهم جهل بسيط بخلاف المنافق فجهله جهل مركب فيحتاج إلى مزيد من البيان، والشفاء، والتدبر.

قال : و ذلك دليلٌ على عظيم شأن التدبر وجلالة قدره، إذ أنه الطريق لتعقل معاني القرآن ولإعتباره بامثاله وزواجره والتأدب بادابه والإمتثال والإتعاظ بمواعظه ، ومن هنا كانت هذه الرسالة التي أكتبها لنفسي أولاً لتكون باعثةً على تحقيق هذا المطلب ثم لإخوانى المسلمين تواصياً بالحق والصبر، وقد تناولت فيها جملةً من الجوانب المهمة المتعلقة بهذا الباب الشريف من جهة بيان حقيقته وما له من تعلق ببعض المعاني المقاربة مع بيان أركانه، وأنواعه وشروطه وموانعه.

ولم أقصد الإستيعاب إذ بعض القول قد يغني اللبيب عن تطوير العبارة كما حرصت على تضمينه كثيراً من عبارات أهل العلم ليقف القارئ عليها ويكون ذلك أنفع لمن أراد أن يلقي درساً أو يكتب في هذا الموضوع.

والله أسأله أن يجعله خالصاً لوجه الكريم ومقرباً إلى مرضاته إنه سميعٌ مجيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين.

دكتور خالد السبت من رواد مسألة التفسيروالتدبر في العصر الحديث. وله كتبٌ جيدةٌ في هذا الأمر. كرسالته الدراسات العليا في قواعد التفسير وله شرحٌ على أبن كثير وله شرحٌ على رياض الصالحين، وله شرحٌ على أعمال القلوب، وقد ضمن في مجلدين، أيضاً دكتور خالد

السبت له شرحٌ لأسماء الله عز وجل وصفاته الحسنى ، وهو منضبطٌ في اعتقاده وكلامه في الإعتقاد وفي التفسير وفي السلوك في غاية الإنضباط، ولذلك ينصح به الناشئة والاجيال عامةً.

قال : بيان معنى التدبر ،قال: التدبر في اللغة مصدر تدبر وأصل هذه المادة دبر يدل على آخر الشيء وخلفه.

يقال دبر السهم الهدف سقط خلفه، ودبر فلانٌ القوم صار خلفهم ، وقد اشتقوا من الدبر فعل فقالوا تدبر إذا نظر في دبر الأمر أي في غائبه أو عاقبته فهو من الأفعال التي أشتقت من الأسماء الجامدة ودبر كل شيءٍ عقبه ومؤخره.

ومنه الدبر خلاف القبل،

وفي الحديث" لا تدابروا "وذلك أن يترك كل واحدٍ منهما الإقبال على صاحب وجهه أي لا يولي بعضكم بعضٍ دبره .

قال أبو عبيد : التدابر المصارمة والهجران مأخوذٌ من أن يولي الرجل صاحبه دبره وقفاه ويعرض عنه بوجهه.

وقال أدبر القوم مضى أمرهم إلى آخره، ودبر القوم يدبرون دبارا دبارا إذا هلكوا. ودبر البعير دبراً فهو أدبر صار بقرحه دبراً أي متأخرا.

ومنه دبر الشهر آخره، ودابر الشيء آخره ودبر الأمر آخره. والدبار الهلاك الذي يقطع دابرتهم.

ويقال فلانٌ ما يدري قبال الأمر من دباره أي أوله من آخره كله على معنى أوله والآخر والعواقب وغير ذلك.

ومن ذلك أدبار السجود أي أواخر الصلوات، أي بعد الصلوات أيضاً ويدخل هذا في بعض الصلوات،

ومنه قيل للنحل الدبر لأنه يُعقبُ ما ينتفع به أو لأن الحها في أدبارها.
وهكذا قيل للملك كثير الدبر لأنه يبقى للأعقاب أي الورثة،
- ويقال: دبر الأمر وتدبره أي نظر وتفكر في عاقبته
وهذا هو المقصود.
- ويقال أستدبره أي رأى في عاقبته ما لم يراه في صدره. ويقال :عرف الأمر تدبراً أي بآخره أي عاقبة.
- ومنه قول جرير : ولا تتقون الشر حيث يصيبكم إلا تدبرا لبعض ما يحدث ولا تعرفون الأمر إلا تدبر أي بعد ما يحدث.
- قال : اكثم أبن صيفي لبنيه. يا بني لا تتدبروا أعجاز أمورٍ قد ولت صدورها.
وتدبير في الأمر أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته فهو بمعنى التفكير في دُبر الأمور وذلك بأن يدبر الإنسان أمره كانه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته.
ولذا قيل والنظر في العواقب بمعرفة الخير أو إجراء الأمور على علم العواقب.
والتدبير ده إصطلاحاً فقهياً عتق العبد عن دبر وهو أن يقول : أنت حرٌ بعد موتي ويقال للعبد مدبر تمام؟
كله ايه؟ بعد. عاقبة أواخر الأمر إلى غير ذلك.
وفيه التفكير والتأمل أيضاً.
ويقال أن فلان لو أستقبل في أمره ما أستدبره لهدي لوجهة أمره أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لأسترشد لأمره.
ومما تقدم يعلم أن أصل التدبر التأمل والتفكر في أدبار الأمور وعواقبها.

أي فيما لا يظهر منها للمتأمل بادئ ذي بدء. ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة شيء واجزائه أو سوابقيه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه.

يبقى ده الأصل العام اللغوي الذي يأتي بمعنى التدبر التأمل التفكر في أدبار الأمور في عواقبها فيما لا يظهر منها للمتأمل بادئ ذي بدء، يحتاج لمزيد نظر مزيد تأمل ثم أستعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء أو أجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه.

قال : التدبر بمعناه العام التدبر في الأمر التفكر فيه أي تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفةٍ ثالثة

وهو بمعنى قول لبعضهم أعملوا النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له.

معنى النظر العقلي في دلالات الدلالة على ما نصبت له: أي تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا تفسيرٌ له بالتفكر.

وبعضهم يفرق بينهما بإعتبار أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب ، وأما التفكر فتصرفه بالنظر في الدليل وعبر عنه بعضهم بأنه التفكر في عاقبة الشئ وما يؤول إليه أمره وهو بمعني قول من فسره بالنظر في أعقاب الأمورو تأويلات الأشياء وهما تعريفان متقاربان والله اعلم أي التفكر والتدبر تمام

التفكر بالنظر في الدليل والتدبر في النظر في عواقب الأمور فكلاهما في الحقيقه مرتبطان جداً.

طيب المعني الشرعي للتدبر تدبر القرأن قال هناك تعريفات متعدده لتدبر القرأن و بينها تقارب

فمن ذلك قال في الكشاف : معنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه -أي الزمخشري-

- قال :وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يجبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة. لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل ، وكان مثله كمثل من لقحه دورٌ لا يحلبها ومهرة نثورٌ لا يستولدها.

الأمر محتاج لمزيد تأمل لا تكتفي بظاهر الألفاظ.

-قال القرطبي : تفكروا فيه وفي معانيه.

-وقال الخازم : ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتفكرٌ في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات.

-وقال أبو حيان : هو التفكر في الآيات والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء.

-قال ابن القيم :هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله -وده من أجود التعريفات لأنه شبه القلب أن له ناظر وأن له حدقة ، وأنه يحدق في الآيات و في المعاني ، يجمع الفكر على التدبر والتعقل ، طبعاً ده مبنيٌ على فهم التفسير وغريب الألفاظ.

-قال السعدي : والتأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك من إنزاله على الواقع. تمام؟

- وقال ابن عاشور: هو تعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة.

- قال عبدالرحمن حبنكه : هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة.

- وقيل : هو التفكر والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه وإدراك معانيه وحكمه والمراد منه.

- وقيل :هو تفهم معاني ألفاظه والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً وما دخل في ضمنها مما لا يظهر به ، ومما لا تتم تلك المعاني إلا به ممن

لم يعرج اللفظ عن ذكره من الإشارات والتنبيهات وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره وأخذ العبرة منه.

- قال : ويجمع ذلك النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعبر والمقاصد -بس لازم الأول يبقى فاهم الألفاظ معناها -الذي يثمر العلوم النافعة والأعمال الزكية.

- قال : وإنما ذكرت هذه الجملة الأخيرة أنه قد ورد عن جماعة من السلف تفسير التدبر بالعمل والإمتثال وما إلى ذلك. مما يقع في القلب ويظهر على الجوارح ، ولا ريب أن هذا يكون أعلى مراتب التدبر ، وإلا فقد يحصل ببعض ذلك كما لا يحصل. -يعني ده المقصود بالحقيقة عمل القلب وعمل البدن.

لكن قد يحصل تدبر أقل من ذلك بأن يفهم ، بأن يتفكر ، بأن ينظر إلى عواقب الأمور إلى لوازم هذه المعاني والتنبيهات والإشارات والفوائد. تمام؟

فنصف السعادة العلم والنصف الأخر العمل. تمام كده الكلام؟

ومن رزق النصف الأول أحرى أن يرزق النصف الثاني. أيضاً ذكر هنا بعض عبارات المفسرين في معنى التدبر:-

-قال : من عبارات المفسرين في قوله تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) ، وقوله : (لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)

- قال ابن جرير : أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آية قرآن الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم يتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله .

دليلٌ على أن التدبر واجب ، وأنه معالجةٌ لأمراض القلوب من الكفر والشك والريب والنفاق.

- قال البغاوي : أفلا يتفكرون في القرآن؟

- وقال ابن الجوزي : ليتفكروا فيها.
- والقرطبي قال : أي يتفهمون ألفاظه و يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره.
-وقال أبو حيان : أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولا يتأمله.
قال البقاعي : أي يتأملون .
- وقال الشوكاني : أفلا يتفهمون.
- وقال ابن عاشور : يتأملون دلالته.

وبهذا نعلم أن كلامهم يدور على إعمال الفكر والنظر بالتأمل والتفهم في آي القرآن الكريم للتوصل إلى معانيه ومقاصده والله أعلم.

يبقى هذا كله دائر على أعمال الفكر والنظر بالتأمل والتفهم في آي القرآن الكريم للتوصل إلى المعاني والمقاصد الذي هو في الحقيقة العمل وسلامة القلب.

طيب العلاقة بين التدبر وما يقاربه من الألفاظ في كتاب جيد جداً للدكتور مساعد الطيار اسمه «تحرير مصطلحات التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر» تمام كده الكلام؟

كتاب جيد جداً ينصح بقراءته وقد شرحته ولكنه لم يسجل.

إذا يسر الله الأمرشرحناه بإذن الله عز وجل.

-قال : أولاً علاقته بالتفسير :-

أن أصل مادة التفسير تدور على الكشف والبيان يقال فسر الكلام أي أبان معناه وأظهره فهو إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي.

وأما في الاصطلاح : فهو علمٌ يبحث فيه عن أحوال الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية.

ولكن هو علاقته أكثر ببيان اللفظ الظاهر.

- قال : وبناءً على ذلك. يقال فى العلاقة بين التفسير والتدبر بأن بينهما ملازمة وذلك أن التوصل إلى مراد الله تعالى من كلامه يحتاج إلى تدبر ونظر وتأمل ، كما أن التدبر يتوقف على معرفة المعنى والله أعلم.

يبقى هذا نهديه لكل من تكلم في التدبر بدون إن يؤصل للناس أصل التفسير وأصل معرفة معاني الألفاظ من غريب القرآن ومن التفسير الذي يضمن لهم سلامة الفهم للألفاظ. تمام؟

طيب ليه يا جماعة؟ لأن أنا قد تلبسنا بالعجمة لسنا عرباً اقحاح كالعربي الأول نحتاج إلى التسيير حتى نستطيع أن نتدبر.

- قال : ثانياً علاقته بالتأويل:-

- قال : التأويل يأتي بمعنيين.

١) الأول بمعنى التفسير ومن ذلك قوله تعالى (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا)

وقول (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)

(فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ)

وقوله على أحد الأوجه في التفسير فتاويل القرآن بمعنى تفسيره وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : " وعلمه التأويل."

قال : وهكذا تأويل الرؤيا يعني بمعنى تفسيرها في قوله تعالى : (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ)

وقوله :(وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)

وقوله: (وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)

وقوله :(وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ)

وقوله :(وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)

وقوله : (أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ)

كل هذا بمعنى التفسير ، أو تفسير رؤيا.

ثانياً:بمعنى ما يصير إليه الشيء اللي هو حقيقته في المآل.

فتأويله الخبر بوقوع المخبر ومن ذلك قوله (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)

وقوله (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ)

قال :وهكذا يعبر بالتأويل في الرؤيا بمعنى تحقق الوقوع ، من ذلك قوله (وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ)

-كما ورد بمعنى العاقبة ومن ذلك قوله تعالى في موضعين من القرآن (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)

وهكذا يعبر بالتأويل عن إمتثال المأمور -وده برضو نوع من أنواع ما يؤول إليه الشيء- من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها " كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن" أي ينفذ ما أمره به القرآن (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا).

بعد ذلك يمكن أن يقال بأن التأويل له تعلقٌ بالتدبر بإعتبار الإطلاقين السابقين وبيان ذلك أن تعلقه به من جهة إطلاقه مراداً به التفسير لا يخفى إذ القول فيه كالقول في التفسير. ولذلك هتجد بعض المفسرين سمها محاسن التأويل ، وهكذا تفسير الطبري اسمه التأويل.

ويقول :عجبت لمن يقرأ القرآن كيف يجد لذته وهو لا يدرك تأويله.

قال : وأما وجه تعلقه بالتأويل إذ تنبيه المعنى الآخر أي ما يعني يؤول إليه شيء حقيقة الشيء في المآل وقوع المخبر أو الإمتثال للأمر ، ذلك يكون بالإمتثال والعمل والتطبيق وذلك من المعاني الداخلة تحت التدبر

إضافةً إلى التفكر فيما يؤول إليه الإنسان وما يقع في الدنيا والآخرة مما وعد به أهل طاعته وأهل معصيته والله اعلم.

- ثالثاً :علاقته بالبيان.

البيان من باب من بيّن الشيء إذا اتضح وانكشف أو بان الشيء إذا اتضح وانكشف.

هذا من حيث الجملة ويتقيد معناه بحسب متعلقه ، والمقصود هنا ما يتعلق بالتدبر وذلك البيان على ما يشرح به المجمل والمبهم ويكشف به عن المعنى ومن ذلك قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)

وقوله (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)

- قال : والقول فيه بهذا الإعتبار كالقول في التفسير من جهة الملازمة بينه وبين التدبر لأن البيان هو التفسير في الحقيقة.

فنقول : أنه لازمٌ للتدبر.

- رابعاً : علاقته بالاستنباط:-

قال : ترجع مادة الاستنباط إلى الإستخراج.

قال ابن جرير: وكل مستخرجٍ شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب فهو له مستنبط.

وبناءً على ذلك الاستنباط من القرآن يكون بمعنى استخراج المعاني والأحكام والوان الهدايات في العقائد والسلوك وغير ذلك ، وهذا يكون نتيجةٌ للتدبر كما لا يخفى وهو قدرٌ زائدٌ على مجرد فهم اللفظ والكشف عن معناه والله اعلم.

قال ابن القيم رحمه الله : وقد فتح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه أنهم اهل العلوم ، ومعلومٌ أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره ويلغى ما لا يصح هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط.

قال الجوهري : الاستنباط كالاستخراج -زي ما بتستخرج المية من من التربة كده- ومعلوم أن ذلك قدرٌ زائد على مجرد فهم اللفظ -يعني شيء خفي بتخرجه- فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط -فهم اللفظ بس هو التفسير- إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط وإنما تنال به العلل والمعاني والاشباه والنظائر ومقاصد المتكلم.

والله سبحانه ذم من سمع ظاهراً مجرداً فأذاعه وافشاه وحمد من استنبط من دور العلم حقيقته ومعناه.

ويوضح أن الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير مستنبطه ومنه استنباط الماء من أرض البئر والعين.

ومن هذا قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيءٍ دون الناس؟ فقال : لا والذي فلق الحب وبرأ النسمة إلى فهمٍ يؤتيه الله عبداً في كتابه.

قال : ومعلومٌ أن هذا الفهم قدرٌ زائدٌ على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه فإن هذا قدرٌ مشتركٌ بين سائر من يعرف لغة العرب. يبقى قدرٍ زائد على معرفة الموضوع أو العموم أو الخصوص. وإنما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره. ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيها غير المراد ولا يخرج منها شيءٌ من المراد.

طبعاً ده واضح قوي يا جماعة أن الاستنباط هو حقيقة التدبر. تمام كده الكلام؟

قال :علاقة التدبر بالفهم:-

قال :الفهم هو تصور المعنى من اللفظ وقيل هيئةٌ للنفس يتحقق بها ما يحسن. وبناءً على ذلك فإن الفهم يكون نتيجةً نتيجةً للتدبر ، كما أنه

يكون وسيلةً لما وراء ذلك من المعاني الداخلة تحت التدبر فإننا نتدبر ما لا يكون إلا بعد الفهم. والله اعلم.

بل في الحقيقة التدبر لا يكون أصلاً إلا بعد الفهم. تمام؟

وبهذا نعلم أن بين التدبر والفهم ملازمة ، ولا يخفى أن الناس يتفاوتون في الفهم تفاوتاً كبيراً.

تصور المسألة أصلاً اللي عليها فيتدبر ، وكلٌ يحصل له من التدبر بحسب.

الاستنباط هو في الحقيقة لا يأتي إلا بعد إمعان النظر. واخد بال حضرتك؟ ولهذا هو قريبٌ جداً من التدبر.

سادساً :علاقته بالتفكر:-

قال : ظهر جلياً من خلال عرض عبارات أهل العلم في التدبر بمعناه العام أو الخاص وما ذكره المفسرون عند تفسير الآيات المتعلقة بذلك أن الكثيرين يفسر تدبر بالتفكر وذلك لما بينهم من المقاربة الشديدة وقد فرق بعضهم كما سبق بأن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب وأما التفكر فتصرفه بالنظر في الدلائل. والذي يظهر أنهم يرجعان إلى معنٍ واحد في الأصل وقد يفترقان في بعض المعاني الدلالية الخاصة بكل لفظه وذلك أن كلمة التدبر تحمل معنىً زائداً وهو دبر الشيء عاقبته.

ومن هنا جاء التفريق السابق بينهما. ولا يخفى أن الواقع في الإستعمال أوسع من ذلك حيث صار يعبر بكلٍ منهما من غير مراعاةٍ لمتعلق النظر في كل لفظة والله اعلم.

هما فى الحقيقة أقرب ما يكونون لبعض وإن كان التدبر لفظٌ يعني أخص لعواقب الأمور ولانزال هذا الامر على الواقع وغير ذلك ، والتفكر يكون في نفس الدليل.